الأهرام
المصدر: الاهرام
التاريخ: ٢٠٠٠/٦/١١

رحلة العائلة المقدسة فى مصر

بدعوة من الدكتور ممدوح البلتاجي وزير السياحة اجتمع لفيف من المسئولين ورجال الدين الإسلامي والمسيحي ورجال الاعلام والسلك الدبلوماسي لحضور احتفالية شعرية وموسيقية درامية أقامتها الوزارة في ذكرى رحلة العائلة المقدسة، المسيح الطفل وأمه العذراء ويوسف النجار، وهروبهم إلى مصر للنجاة من أمر الحاكم الروماني هيرودس بقتل جميع الأطفال في مدينة «بيت لحم» الفلسطينية.

أقيمت الاحتفالية على صفحة النيل فكان نهر النيل هو المسرح لها، وقد اختار الفنانون أحد المواقع التاريخية التي زارتها العائلة المقدسة على شاطىء المعادي ليقدموا الاحتفالية أمام كنيسة العذراء المطلة على النهر.

واختار الفنانون للاحتفالية «الأوبرالية» عنوانا مقتبسا من الإنجيل وهو «مبارك شعبي مصر».

كتب الدراما المؤلف المسرحي محمد سلماوي وأخرجها ووضع الإطار الموسيقي لها الفنان محمد نوح، وأسهم بكتابة أشعارها كل من الشعراء الدكتور كمال فريد وصلاح فايز، ولحن الأغاني الموسيقيون هيثم الخميسي وهاني شنودة وأشرف عبد المنعم وأحمد رمضان.

في هذه الاحتفالية ذات الطابع الخاص التقى الفن بالموضوع الديني لقاء ينبع من القلب.

بقلم:

ألفريد فرج

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقد عرف المصريون مثل هذا اللقاء المؤثر في الإنشاد الديني الإسلامي وشعر المدائح والشعر الصوفي، كما عرفوه في تراتيل القداس الكنسي .

ورحلة العذراء مريم وابنها المسيح الطفل ويوسف النجار الى مصر أوحت للفنانين في كل العصور، حيث كانت رحلة مثيرة هربا من بطش حاكم روماني دموي . وكانت النجاة للطفل وأمه بالدخول في مصر حيث حدد الوحي الإلهي طريق الأسرة ووجهها الى أرض الكنانة، ثم أوحى للأسرة بالعودة الى فلسطين بعد عدة سنوات، وبعد أن مات الحاكم الدموي وتهيأت فلسطين لاستقبال السيد المسيح .

وقد تكرم الفنان «حنا فهمي ويصا» باهدائي منذ عدة شهور الفيديو كاسيت لفيلم أخرجه وانتجه عن رحلة العائلة المقدسة في مصر، مزود بالخرائط والرسوم وصور المواقع وآثار الرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات . واستند الفنان في تحديد مسيرة العائلة المقدسة على وثائق الكنيسة ومخطوطات قديمة وبحث مهم للدكتور «ميناردوس» أستاذ الفلسفة الأمريكي.

واستنادا الى هذه المراجع مرت الرحلة بمدينة «الفرما» بقرب العريش الى «بوبسطا» (تل بسطا) و«سمنود» ثم سخا» و«مسطرد» و «عين شمس» الى «نابليون» و «منف» و «البهنسا» حتى وصلت العائلة الى «سمالوط» و «جبل الطير» والى «الأشمونين» و «ديروط» حتى «القوصية» .

وكان لها وقفة في منطقة «الدير المحرق» بالصعيد .

وبهذا فازت هذه المدن والمواقع الكثيرة في مصر كلها بفضل إيواء اللاجئين من الظلم والفارين من البطش، كما كانت مصر دائما وفي مختلف العصور هي الملاذ ومقصد اللاجئين ودار الأمان والسلام للفني والفقير .

هكذا كانت مصر دائما، كما كانت للعائلة المقدسة، فسكنت على أرضها القلوب التي كانت خائفة ، وارتوت بماء النيل نفوس كانت ظمأى للعدالة والحرية .

ففي القرن التاسع عشر لجأ الى مصر وأمن بها فريق كبير من المثقفين والصحفيين السوريين واللبنانيين، ووجدوا في أرض النيل الأمن والسلام وحرية التعبير .

فما وافى القرن العشرون حتى وفد الى مصر الأحرار من المغرب العربي، السنوسي من ليبيا وعبد الكريم الخطابي من الريف المغربي والحبيب بورقيبة من تونس ومحمد الخامس من المغرب .

وكانت مصر هي المقصد المفضل للأحرار الذين فروا من بطش هتلر وإدانة العسكرية المدمرة في الحرب العالمية الثانية فلجأ اليها الأحرار من اليونان والبلقان والحبشة وفرنسا وغيرها .

والعجيب أن يكون قائد هذا الطابور من الأحرار اللاجئين الى مصر من البطش ..

وأن يكون الرائد على رأس طالبي الأمان في أرض الكنانة هو المسيح الطفل وأسرته الكريمة منذ ألفي سنة،

لتكشف عن أن مصر هي بر الأمان في العالم وأنها ملاذ الخائف ومقصد المطارد والأرض الطيبة للاجئين إليها ..

وربما كان لرحلة العائلة المقدسة في اتجاه مصر مغزى خاص ومعنى كبير .

فمصر بالنسبة للاثنين بها لم تكن مجرد عمق جغرافي يحتمي به الخائف، وإنما كانت مصر عمقا روحيا ونفسيا أيضا يحتضن اللاجئين بالكرم الشعبي واللطف الأصيل ورحابة النفس وسعة الحصيرة ..

فكيف لاتثير هذه الرحلة خيال الفنان والكاتب وتوحي لهما بهذا الجو الأوبرالي في احتفالية وزارة السياحة ؟

وقد استقر رأى مبدعي الاحتفالية على اتخاذ صفحة النيل ذاتها المسرح للعرض الفني، والاستناد الى عنصر «الصور المائية» وهي ابتكار من ابتكارات الفن الحديث يستند الى إمكانية تكنولوجية بارعة في احداث الصور المرئية في نافورة المياه المتدفقة فوق صفحة النيل (!) .

وقد أقام الفنان الديكور المسرحي فوق صنادل طافية على النهر متراصة في منحنى كالقوس في مواجهة المشاهدين على الشاطىء .

www.ethraadl.com
إثراء للمعارف الرقمية

ويتالف الديكور من واجهة مبنى معمارى على النهر الطراز الفرعونى، ومبنى على الطراز الرومانى، ومبنى إسلامى وابنية حديثة .

ويمثل القوس المعمارى للديكور المسار التاريخى لقصة الرحلة المقدسة واثرها فى العصور، ويناظر الكرم المصرى الذى أحاط العائلة المقدسة ورحلتها فى الزمن التاريخى بالكرم السمح فى العصر القديم والحديث، والتقدير الإسلامى الخاص لقصة مريم والسيد المسيح، وتعانق مشاعر الوحدة الوطنية فى مصر العصر الحديث وفى المجتمع الحديث .

وقد اضاف الفنانون الى الديكور فوق الصنادل الطافية شاشة للسينما تتكامل الصور عليها مع الصور المائية فى إطار من أشعة الليزر تضفى على المشاهد لمسات خاصة ..

وفى هذا الميدان المسرحى الواسع اختتمت الاحتفالية بإطلاق الصواريخ الملونة التى كانت لهذا الجو الدرامى ذروته العالية .

وقد روى السياق الدرامى للرحلة فرق من المنشدين الجماعيين (الكورال) وأدت فرق الباليه عدة رقصات شعبية بالسعف والعصى وبالرقص التعبيرى، مما اضفى على قصة الرحلة إطارا شعبيا فلكلوريا ربطها بالبيئة الإنسانية، حيث تمت الرحلة فى بلاد الناس ووسط الجموع الشعبية، ولم تكن فى ضيافة حاكم أو ثرى .

وهذه كانت من اللمسات الجميلة فى العرض، حيث اكدت الدراما المعنى الجميل للرحلة المقدسة، وهو ان العائلة الهاربة لم تلجا الى الحكام المنافسين او علية القوم وانما كان الفقراء أصدقاءها والريف والصحراء محطاتها والتمر واللبن ثمار الغيط غذاءها وماء النيل شرابها ..

وربما كانت لى بعض الملاحظات النقدية القليلة على الاحتفالية .. وهى عدم التدقيق فى دراسة أبعاد الرؤية فى هذا المسرح الكبير، او فى هذا المجال المسرحى غير المسبوق فى اتساعه .

ان الفنان يستطيع دائما ان يقرب البعيد صوتيا بمكبرات الصوت، ولكنه لا يستطيع ان يفعل نفس الشىء بالصورة المرئية، وفى مثل هذا «المسرح» الواسع وربما لاتقل مساحته عن ملعب كرة القدم) يشعر الفنان بضعف الصوت او بعد متابعه فيعمل على مضاعفة حجم الصوت بالمكبرات، ولكنه فى المقابل لايستطيع أن يوازن ذلك بمضاعفة حجم الصورة المرئية، حتى ليجد المشاهد الصوت قريبا بينما يرى الفنانين أصغر من الحجم الطبيعى بسبب بعد المسافة ..

وربما كان لهذا أثر فى عدم اكتمال احساس المشاهد بالإثارة القوية للدراما والتدفق الموسيقى البديع، وهو الإحساس الذى لابد أن يكتمل لو ان نفس العمل الفنى عرض على مسرح عادى قريب من المشاهدين أو على بعد ذراع من المشاهد فى الصف الأول .

وفى الميادين الواسعة التى يقدم فيها الفنانون عروضا مسرحية غالبا مايقيم الفنان شاشة فى الميدان تعكس صورة العرض مكبرة، حتى تتلاءم الرؤية مع بعد المسافة بين الفنان والمشاهد، وتصبح الشاشة هى مكبر الصورة الذى يتكامل مع مكبرات الصوت .

ولعل مشاهد التليفزيون لهذه الاحتفالية الجميلة لم يشعر فى لحظة من اللحظات ببعد الصورة المرئية الذى شعر به المشاهد فى الموقع، وذلك لقدرة الكاميرا على التقريب فى اللحظات الموحية للتقريب، أو التكبير للصورة إذا اقتضى الأمر .

ولكنى استدرك فاقول ان هذا لم يضعف كثيرا الاثر القوى للدراما الاوبرالية البديعة التى قدمها الفنانون للجمهور على شاطىء النيل .

وبعد «النهاية» وإطلاق الصواريخ والتصفيق .. بقى السؤال : ماذا يكون عليه مستقبل هذا العرض الفنى الجميل ؟

الأهرام

هل يقدمه الفنانون للجمهور والسياح في بضع حفلات، أم يقدمه الفنانون للجمهور والسياح بانتظام مثل امسيات الصوت والضوء في المواقع الأثرية ؟ .. وفي هذه الحال هل يقدم بلغات متعددة شأن «الصوت والضوء» ؟

أم تكتفي وزارة السياحة بطبعه على اشرطة الفيديو ليشاهده من يريد على شاشة التليفزيون ؟

هذه أسئلة دارت في خواطر المشاهدين في ذلك المساء الفني الجميل .

وبعد جمال الصورة وجمال الصوت في هذا العرض الفني .. لايفوتنا أن لهذه الاحتفالية الفنية الاوبرالية فائدة كبيرة في تفنيد مزاعم الصحف الاجنبية من اضطهاد الاقباط او التمييز ضد الفكر والثقافة المصرية القبطية في الموقف الرسمي او الشعبي . فهذه الاحتفالية دليل جميل على بطلان هذه المزاعم، ودليل على السماحة الخالصة للفن المصري الحديث والفن المصري المعاصر، وإحساس الفنان بالقومية المصرية العميقة .

ولايفوتني أن أشير الى كتاب المفكر الدكتور ميلاد حنا عن الأعمدة السبعة للقومية المصرية..

وفيه يعدد المراحل الحضارية التى مرت بمصر ومر بها وجدان المصريين من الفراعنة الى العصر اليوناني فالروماني فالقبطي فالعربي الإسلامي» .. ويشرح الدكتور ميلاد كيف تكونت الطبقات الحضارية في الوطن كما يتكون الجبل جيولوجيا .. وعرض الكاتب رأيه بأسلوب جميل ومشرق ومصري خالص .

والعرض الفني الاحتفالي الذى شهدناه على صفحة النيل في المعادي يؤكد معنى الوحدة الوطنية ويوثق أسبابها وعناصرها ويزين قصة رحلة العائلة المقدسة بترتيل أيات الذكر الحكيم التي تشير الى ميلاد السيد المسيح وصوتيات دينية إسلامية وقبطية في تجاور سموح باطيب المشاعر .

وقد كان على راس فريق المبدعين لهذا العرض المسرحي فنانان مرموقان ، هما محمد سلماوي ومحمد نوح .

وقد عرفنا سلماوي بمسرحياته الناجحة : «اثنين تحت الأرض» و «سالومي» الأولى و «رقصة سالومي الأخيرة» ومسرحية «جنزير» التى قدمها المسرح الحديث بنجاح كبير .

ومحمد سلماوي كاتب مسرحي يتميز بالعمق السياسي في أعماله، وبالشاعرية وبالقدرة على إبداع ايقاع درامي في لغة الحوار، وفي لغته طاقة تعبيرية رفيعة .

أما محمد نوح فهو فنان شامل إذا صح هذا الوصف .. هو ممثل ومخرج ومؤلف موسيقي ومغن ومفكر مسرحي ..

فقد قدم نوح أول عمل أوبرالي في المسرح في هذا الجيل وهو مسرحية «انقلاب» التى كتب لها النص الدرامي الشاعر اللامع الراحل «صلاح جاهين» وانتجها واخرجها جلال الشرقاوي في مسرحه ..

كما قام محمد نوح بوضع الموسيقى لمسرحية «كاليجولا» للكاتب الفرنسي «البير كامي» في العرض الذى اخرجه للمسرح فنان السينما المبدع «يوسف شاهين» بإنتاج المسرح القومي الفرنسي الرفيع الكوميدي فرانسيز» سنة ١٩٩٧، وكان له نجاح كبير .

وقد تميزت موسيقى محمد نوح في المسرحية الرائعة باصداء الصوتيات المصرية الشعبية الفولكلورية مما كان له سحر خاص في المسرح الفرنسي واضفى على المسرحية الفرنسية بعدا زمنيا عميقا وبعدا كونيا واسعا .

فإذا كان اثنان من الفنانين مثل سلماوي ونوح على رأس المبدعين لهذا العرض المسرحي فلابد أن يتالق من كل جوانبه .

وقد أثارت هذه الاحتفالية الجميلة في خاطري .. وربما أثارت في خواطر غيري من الحضور فكرة إمكانية إضفاء نوع من الحيوية في المناطق الأثرية بالوان العرض المسرحي - البسيط أو المركب .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فقد لاحظت فى بعض القلاع الأثرية فى بريطانيا حرص المسئولين على أن يكون فى القلعة حراسة بالملابس التاريخية، أو اجتماع يتألف من تماثيل الشمع للقاء على مستوى الأهمية التاريخية .

كما أن قلعة الدانمارك الشهيرة تقدم سنويا مسرحية شكسبير «هاملت» التى يفترض أن أحداثها جرت فى ذات القلعة، وتقدم المسرحية في موسم قصير يتزاحم السياح على حضوره، .

مثل هذه العروض الفنية ذات المستوى في الأماكن التاريخية تضفي على حضورها الجامد والساكن شيئا من الحركة والحيوية وحضورا حيا ربما يكون له جاذبية خاصة إذا كان مستواه رفيعا وبناؤه حسنا .

ولكن مثل هذه العروض يجب أن يتوخى مبدعوها الحذر وأن يكون لهم في الفن خبرة متنوعة وأن يكونوا من الأساتذة الكبار حتى لاتتحول المناطق التاريخية والآثار المجيدة الى مسرح للفن المتدنى .. وقانا الله .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية